نظرية الحدث اللغوي

تحليل ونقد

محمد العبد

أستاذ علم اللغة ـ جامعة عين شمس

إذا كانت البنيوية نظرية للنظام اللغـوي، ترجع الاهتمامات التوصيفيـة فيها إلى الأشكال اللغوية ومكانتـها من ذلك النظام، وإذا كانت اللسانيات الـتوليدية نظرية للكفـاءة اللغوية عند مـتكلم اللغة الأصلـي، تسعى إلى تقـديم صيـاغة صريـحة للقواعد التي تقف وراء القدرة على إنتاج جمل جديدة إنتـاجاً مستمراً، فإن نظرية الحدث اللغوي Speech Act Theory نظرية للاستخدام اللـغوي، تصف ما نفعل بالمنطوقـات، وكيف نفـعله، وترى أن الكشف عن حـقيـقـة العلاقـة بين الشكل والوظيفة في معنى المنطوق اللغـوي، إنما يكون من خلال مواقف الاتصال اللغوي الفعلية.

وإذا كـانت التـداوليـة Pragmatics هي المكون الرئيـس الثـالث في أي نظرية سيـميـائية للغـة (مع علم النحو وعلم الدلالة)، فـإن نظرية الحدث اللـغوي من المكونات الثـلاثة في قيام التـداولية اللغـوية. إلى جانب تحليل المحـادثات ودراسة الفروق الحـضارية في التفاعـلات اللغوية من منظور العلوم الاجـتماعيـة، نهضت النظرية التـداولية اللغـوية أيضا على فلسـفة اللغـة، وعلى نظرية الحدث الـلغوي بخاصة.

الفيلسوف اللغـوي البريطاني (ويلقب بفيلسوف أكسـفورد) جون أوستين John Austin (١٩١١- ١٩٦٠) هو مـؤسس هذه النظرية، يؤرخ لنشأتهـا بكتابه (كـيف نفعل الأشيـاء بالكلمات How to do Things With Words) الذي صدر في عام ١٩٦٢م؛ أي بعد وفاته بعامين اثنين. أما الفيلسـوف اللغوي البريطاني جون سيرل John Searle، فـقد خلف أوسـتين في إرسـاء دعـائم النظرية وتزويدها بمفـاهيم جديدة وتوسيع آفاق البحث فيها.

يعني ما سبق أن نظرية الحـدث اللغوي تنتمي إلى فلسفة اللغة. تتـعامل فلسفة اللغة ـ كما يقول سيرل ـ مع الحقائق التصورية Conceptual truths التي تكمن في أي لغة أو أي نظام ممكن لـلتبليغ، بينما علم اللـغة يتعـامل مع الواقعات العـملية empirical facts من اللغات الإنسانية الطبيعية. ويميز هنا بين فلسفة اللغة والفلسفة اللغوية: الفـسلفة اللغـوية محاولة لحل مـشكلات فلسفيـة خاصة بالالتـفات إلى الاستعـمال العادي لكلمات خـاصة أو عناصر أخرى في لغـة بعينها. أما فـلسفة اللغة، فهي محاولة توصيف بعض الخصائص العامة للغة توصيفاً مضيئاً؛ كالمرجع reference والصدق truth، والمعنى meaning. الفلسفة اللغوية اسم على منهج، أما فلسفة اللغـة فاسم على موضوع. تأتي معطيات فلسفـة اللغة عادة من اللغات الإنسانيـة الطبيعيـة. البحث في فلسفـة اللغة ليس بعامـة بحثاً في لغات بعـينها، ولكنه بحث في اللغة[١].

ويشير فـاندرفيكن Vanderweken ـ أحد رواد هذه النظرية ـ إلى أن علة عناية فلاسفة اللغـة بدراسة الأحداث اللغوية، ترجع إلى أنهم يرون في البنى التركـيبية للمنطوقـات أهمية فلسـفية لغـوية في آن معاً؛ لأنهـا تعبـر عن مبادئ عـامة في الاستعمال اللغوي[٢].

عرفت بحـوث الأحداث اللغوية بدايـتها إذن عند فـلاسفة اللغـة، لا اللغويين ولكن ربع القرن الأخـير قد شـهد تأثر علم اللغة تـأثراً أعمق بالبحث في فلسـفة اللغة في مسألة كيـفية ارتباط المقاصد بشكل المنطوق ووظيفـته. لقد اتجه اللغويون

(١) Searle, John: Expression and Meaning: Studies in the Theory of Speech Acts. Cambridge Uni. Press (1993) P. 162.

(٢) Vanderveken, Daniel: Meaning and Speech Acts. Vol 1: Principles of Lanhuage Use. Cambridge Uni. Press (1990) PP. 11-12.

إلى ميادين واسعة من البحث اللغوي كان العمل فيها للفلاسفة وحدهم (التداولية مثلاً). وكما أفاد فلاسفة اللغة ـ من بعض جوانب التعامل مع البنية اللغوية ـ من أعمال اللغويين، فقد تماثلت أعمال فلاسفة لغويين مثل أوستين وسيرل وجوايس وآخرين مع آليات العمل عند اللغوي المعاصر.

١ـ بنية النظرية

تنهض البنية الكبرى لهذه النظرية على ركيزتين رئيستين اثنتين:

(أولاهما) أن الكلام فعل.

و(الأخرى) أن إدراك المعنى الحقيقي للمنطوقات اللغوية إنما يتحقق في الاتصال الفعلي.

كان ب. مالينوفسكي B. Malinowski (١٨٨٤م-١٩٤٢م) ـ مؤسس الأنثروبولوجيا اللغوية ـ قد لاحظ ـ في دراساته الميدانية ـ أن الكلام ـ لاسيما في الثقافات البدائية ـ ليس "قولاً" بل "فعلاً"، وأن اللغة نمط من الفعل وليست أداة للتأمل [١]. ولكن الفرق بين مالينوفسكي وأوستين كالفرق بين فكرة طريفة ونظرية متكاملة.

(أ) المنطوق والفعل

الكلام فعل. هذه المقولة نواة النظرية التي أسسها أوستين: نظرية أفعال الكلام، أو نظرية الحدث اللغوي. الكلام حدث لغوي بين متكلم ومستمع. نطق الجملة أو

(١) سامسون، جفري: مدارس اللسانيات: التسابق والتطور، ترجمة د. محمد زياد كبة، منشورات جامعة الملك سعود ـ الرياض (١٤١٧هـ) ص٢٣٨ وقارن:

Malinowski, B: The Problem of Meaning in Primitive Lanhuages.

Supplement to C.K Ogden and I.A Richards: the Meaning, of Meaning Routledge and Kegan Paul (1923) P. 312.

المنطوق هو ـ كما يقول أوستين ـ أداء حدث أو هو جزء من أدائه. ولا يوصف الكلام وصفاً عادياً بأنه ـ أو بأنه مجرد ـ قول شيء[1]. يتساءل أوستين: "عندما نصدر منطوقاً بعينه، ألسنا نفعل شيئاً ما؟. إن الناس يقابلون بين رجال الكلام ورجال الفعل. ويمكن أن نقابل بين التفكير في شيء وقوله بالفعل، في هذا السياق قول شيء بعينه هو فعل هذا الشيء"[2].

جعل أوستين المنطوقات اللغوية نوعين: الأدائيات Performatives والتبليغيات Statements. الفرق بين الأدائيات والتبليغيات هو فرق بين منطوقات تؤدي أفعالاً (كالوعود، والمراهنات، والتحذيرات. . .الخ) ومنطوقات تعرض أقوالاً (كالإثباتيات Constatives، والتقريريات Assertives، والإعلانيات Declaratives. . .الخ). تنقسم المنطوقات الأدائية بدورها إلى (أ) منطوقات أدائية أولية أو ضمنية، وهي التي تخلو من الأفعال الأدائية في اللغة و(ب) المنطوقات الأدائية الثانوية أو الصريحة، وهي التي تشتمل على فعل أدائي في صيغة المضارع المبني للمعلوم المسند إلى المفرد المتكلم، مثل: أعد، أنذر، أسأل، أشكر، . . .الخ.

وغني عن البيان أن الأدائيات الثانوية أو الصريحة أسهل من نظيرتها الضمنية تعرفاً على نوع الحدث المؤدي فيها، من حيث إن المتكلم يعين بنفسه ذلك الحدث: وعدا، أو أمراً، أو توصية وهلم جرا، وتعين الملابسات التي يقع فيها المنطوق الأدائي الضمني على تحديد الفعل الأدائي المقصود، وإن كانت هذه المسألة مما أهملت كثيراً في نظرية الحدث اللغوي، على نحو ما نبهت اتجاهات لاحقة.

ولكي يؤدي المنطوق الأدائي وظيفته، ينبغي له أن يخضع لأعراف الاتصال

(١) Austin. John: How to do Things with Words. Oxford Uni. Press 1962-1992 p. 5.

(٢) المرجع السابق ص٩٢.

وللملابسات الملائمة، ينبغي أن تتوافر له شروط النجاح وشروط الصدق. عندما أقول مثلاً: "أعدك بهدية" ينبغي أن أكون في وضع يسمح بإنجاز هذا الوعد، وينبغي أن تكون لدي نية الوفاء به. إذا افتقد المنطوق الأدائي تلك الشروط، فقد الملاءمة (ملاءمة الملابسات التي يؤدى فيها المنطوق). لكي أسمي سفينة باسم ما، يجب أن أكون الشخص المكلف بتسميتها، وحتى أعمل رهاناً، يجب أن يكون العرض المقدم له مقبولاً من آخذه[1].

لا يوصف منطوقي السابق بالصواب أو الخطأ، ولكنه يوصف بالنجاح أو الفشل. فإن بلغ شخص آخر عني منطوقي قائلاً:

ـ وعد فلان فلاناً بهدية

جازلنا أن نصف منطوقه بالصحة أو الخطأ. يعني ذلك أن المنطوق الأدائي إما أن يكون ناجحاً أو فاشلاً، ولكن المنطوق التبليغي إما أن يكون صحيحاً أو غير صحيح. يقول أوستين: "الأدائيات لا "تصف" أي شيء على الإطلاق ولا "تقرره" ولا "تثبته"، ولا توصف بالصحة أو الخطأ"[2].

سبق فلاسفة اللغة مثل أوستين وسيرل وفاندرفيكن وهولدكروفت وغيرهم إلى بحث المنطوقات الأدائية على النحو الذي قدمت خلاصته، يبرر صادوك Sadock ذلك السبق بأن المنطوقات الأدائية، ليست موضوعاً لأحكام بالصحة والخطأ، وإن كانت تشبه الجمل الإعلانية Declarative Sentences شكلاً. في الوقت الذي يمكن فيه أن تحكم على منطوق مثل:

ـ راهن س على المقابلة.

(١) المرجع نفسه ص٩.

(٢) المرجع نفسه ص٥.

بأنه صحيح أو خاطئ اعتماداً على الملابسات، فإن جملة مثل:

ـ أنا ـ بهذا ـ أراهن على المقابلة.

ليست صحيحة ولا خاطئة. يمكن لهذه الجملة أن تنجح رهاناً أو أن تفشل: كألا تسمع، أو ألا تفهم. وهذا يختلف اختلافاً تاماً عن كونها خاطئة[١].

(ب) الحدث اللغوي

يصنع المنطوق أدائياً أو غير أدائي حدثاً لغوياً. جعل أوستين الحدث اللغوي أنواعاً ثلاثة: الحدث اللفظي Locutionary Act، والحدث الإنجازي Illocutionary Act والحدث التأثيري Perloutionary Act.[٢] التمييز بين هذه الأنواع لغرض التحليل، وليس تمييزاً بين قطاعات منعزل بعضها عن بعض في الحدث اللغوي الواحد.

معنى الحدث اللفظي قول شيء ما. ودراسته دراسة القول في ذاته بأحداثه الفرعية: الحدث الصوتي، وحدث التلفظ بمفردات تنتمي إلى معجم بعينه وتخضع لقواعد بعينها، وحدث استعمال تلك المفردات لإبلاغ معنى، معنى يبني من المفهوم Sense والمرجع Reference في آن معاً[٣].

أداء الحدث اللفظي هو ـ في الوقت نفسه ـ أداء حدث إنجازي. وللحدث الإنجازي بدوره نتائجه أو آثاره في المستمع. يعني هذا تلازم اللفظي والإنجازي والتأثيري في كل حدث لغوي. يوضح أوستين الأنواع الثلاثة بالمنطوق:

ـ أطلق هنا.

---

(١) Sadock, Jerrold, M. Toward a Linguistic Theory of Speech Acts. Academic Press. New York. San Francisco. London (1974) p. 9.

(٢) أوستين ص ص ١٠١-١٠٢.

(٣) المرجع نفسه ص ٩٣.

الحدث اللفظي فيه طائفة الأصوات اللغوية التي أنتجت مفردات ألف بينها تأليف اللغة، وقصد بها قصدها في اللغة، حتى نقلت معنى. أما الحدث الإنجازي فهو هكذا: حثني (نصحني، أمرني . . الخ): أطلق هنا. هذه وظيفة المنطوق في سياقات استعمال مناسبة. وأما الحدث التأثيري فهو ما نتج عن الحدث الإنجازي من إقناع المخاطب بأن يطلق؛ أي: أقنعني ـ مثلاً ـ بأن أطلق هنا[١].

الإنجازي إذن حدث ما في القول. والتأثيري حدث ينتج بالقول؛ أي بواسطته. ويقول أوستين: "ينبغي أن نميز بين الحدث الإنجازي والحدث التأثيري. ينبغي مثلاً أن نميز بين: في المنطوق كنت حذرته، وبين: بقولي إياه كنت أقنعته، أو أدهشته، أو أوقفته"[٢].

لم يكن اهتمام أوستين وغيره من رواد النظرية بالحدث اللفظي إلا لتأمل ماهيته تأملاً كاملاً، ولتمييزه من الأحداث الأخرى التي ترتبط به ارتباطاً جوهرياً: الإنجازي والتأثيري.

لم تظهر نظرية الحدث اللغوي في بعدها الفلسفي شيئاً جديداً عن الحدث اللفظي في ذاته؛ لأن الإشكالية المهمة من منظورها هي ـ كما صرح سيرل مثلاً ـ "وصف كيفية الحصول على أحداث إنجازية من الأصوات"[٣]. وعندما أراد سيرل تعريف ماهية الحدث اللغوي، أشار إلى أن بحثه (ما الحدث اللغوي؟ What is a Speech Act?) ينبغي له أن يسمى: (ما الحدث الإنجازي؟)[٤].

(١) أوستين ص ص١٠١-١٠٢.

(٣) المرجع نفسه ص ١١٠.

(٣) Searle, John: Expression and Meaning, op. cit., p. 178.

(٤) Searle, John: What is a Speech Act? In: Pier Paolo Giglioli (ed.); Language and Social Context. Penguin Books. London (1990) pp. 136-154, p. 136.

ظل الحدث الإنجازي الشاغل الأهم في نظرية الحدث اللغوي منذ تأسيسها حتى الآن. ويبدو أن سيرل لم يرد بإشارته السابقة إلا أن يجعل الحدث اللغوي على إطلاقه مرادفاً للحدث الإنجازي، مما يستتبع بالضرورة القول بأن نظرية الحدث اللغوي هي ـ بعامة ـ نظرية للحدث الإنجازي. ولما كان ناتج الحدث التأثيري هو القيام بفعل ما، فقد استبعد أوستين مفهوم الحدث التأثيري ورآه غير مناسب لنظريته(١).

يتفق أصحاب هذه النظرية على أن وحدة الاتصال الإنساني باللغة هي الحدث اللغوي من النوع المسمى بالحدث الإنجازي(٢). وهو حدث إنجازي لأننا نؤدي به أفعالاً لغوية؛ كالإخبار، وتوجيه الأسئلة، وإعطاء الأوامر، وعمل الوعود، والاعتذار، والشكر.. الخ. الحدث الإنجازي ـ كما يقول هولدكروفت Holdcroft ـ حدث ذو نتيجة، حدث يلعب دوراً بعينه في استحضار شيء بعينه. من غير حاجة إلى القصد إلى وجوب كونه حدثاً تأثيرياً(٣).

عندما يستخدم المتكلم جملة في سياق بعينه، فإنه يقصد إلى أداء لغوي إنجازي من تبليغ أو التماس أو أمر أو اعتذار أو غير ذلك. ومن ثم كانت فرضية فاندرفيكن Vanderveken أن الحدث الإنجازي هو الوحدة الأولية لمعنى الجملة، وهو الوحدة الأولية للاتصال(٤).

كان أوستين قد صنف الأحداث الإنجازية على حسب قوتها الإنجازية (الأحرى

(١) أوستين ص ١١٠.

(٢) انظر مثلاً: Searle, J.: Expression, p. 178.

Sodock, J.: Toward a linguistic Theory, p. 9.

(٣) Holdcroft, David: Words and Deeds: Problems in the Theory of Speech Acts. la-rendon Press. Oxford (1978) p. 22.

(٤) فاندرفيكين ص٧.

أنها على حسب الغرض الإنجازي، ولكنه ـ كما سنرى ـ خلط بين القوة والغرض) إلى أصناف خمسة:

١ـ الحكميات Verdictives: وهي أحداث مختصة بإصدار حكم رسمي أو غير رسمي، من أفعالها الأدائية: حكم، أخلى (سبيله)، قدّر، قنّن . . . الخ.

٢ـ السلطويات Exercitives: وهي أحداث مختصة بممارسة السلطة والحقوق. وهي نوع من الحكم، لكنه حكم على الشيء بأن يكون هكذا، لا بأنه كائن هكذا. من أفعالها الأدائية: أمر، طلب، وجّه، احتجّ. . . الخ.

٣ـ الالتزاميات Commissives: وهي أحداث مختصة بالالتزام بفعل شيء ومن أفعالها الأدائية: وعد، تعهد، التزم، تكفل . . . الخ.

٤ـ السلوكيات Behabitives: وهي أحداث مختصة بالسلوكيات والتصرفات الاجتماعية، من أفعالها الأدائية: اعتذر، استسمح، شكر، أسف. . . الخ.

٥ـ العرضيات Expositives: وهي أحداث مختصة بعرض وجهات النظر وشرحها. من أفعالها الأدائية: أكد، أثبت، أنكر، بيّن . . . الخ[١].

عيب تصنيف أوستين، لما فيه من خلط بين الأصناف المختلفة: فالسلوكيات الاجتماعية تلتبس بالحكميات والعرضيات من بعض الجهات. والسلطويات تلتبس بالالتزاميات والسلوكيات والعرضيات. جعل أوستين "أكد" و"أثبت" ونحوهما مع العرضيات، بينما حقل الحكميات أولى بها جميعاً.

لم يقبل سيرل تصنيف الأحداث الإنجازية على النحو الذي عرضه أوستين، ولكنه وصفه بأنه أساس ممتاز للمناقشة[٢]. كشف سيرل عن مواطن ضعف عدة

(١) أوستين ص ص١٥١ -١٦٣.

(٢) Searle, J.: Expression, p. 11.

في تصنيف أوستين. فضلاً عما وقع فيه من مغـالطات؛ كاشتماله على أفعال غير أدائية مثل "نوى" الذي يختلـف عن العبارة الفعلية الأدائية" يعبـر عن نية"، فقد خلا تصنيف أوسـتين من مبادئ واضحـة ثابتة تخضع لهـا شتى الأصناف. تدارك سيرل ما سبق وغيّره، فوضع تصنيفه الذي بناه على الأسس الثلاثة التالية:

١ـ الغرض الإنجازي Illocutionary Point .

٢ـ مراعاة اتجاه المطابقة Direcion of fit .

٣ـ مراعاة شرط الصدق Sencerity Condition .

وأضاف سيرل إلى هذه الأسس محددات أخرى ثانوية، مثل دور السلطة Role Of Authority وعلاقات الخطاب Discourse Relations .

أما الغـرض الإنجازي فهـو كالإخبـار والالتمـاس والوعد ونحوها. وأمـا اتجاه المطابقـة فهـو أن تطابق الكلمات العـالم Words - to- Woeld (كالإنجـازي الذي غـرضه الإخـبار عن شيء في العـالم الخارجـي)، أو أن يطابق العالمُ الكلمـات World - to - Words (كالإنجـازي الذي غرضه الأمر أو الالتـماس)، أو أن تكون المطابقة من الجنسين فـي آن معا (كالإنجـازي الذي غرضه الإعـلان نحو استعـمال "عزل" الفـعل الأدائي الذي يجعل اللغـة مطابقة للعـالم، والذي لا يحاول ـ في الوقت عينه ـ أن يضع عـالماً، لابوصف واقع موجود كـالإخبار، ولا بجـعل أحد يسعى إلى إنجاز فعل مـستقبلي كالأمر). وأما شـرط الصدق، فهو أن تكون لدى المستمع في حدث الأمر الإنجازي ـ مثلاً رغبة في فعل الحدث.

على أساس المبادئ السابقـة جميعاً جعل سيـرل الأحداث الإنجازية على النحو التالي (اختصاراً):

١ـ الإخباريات أو التقريريات Assertives: حيث نخبر مستـمعينا (سواء أكان

الإخبار صحيحاً أم خاطئاً) كيف تكون الأشياء.

٢ـ التوجيهيات Directives: حيث نحاول أن نجعل مستمعينا يفعلون الأشياء.

٣ـ الالتزاميات Commissives: حيث نلزم أنفسنا بفعل الأشياء.

٤ـ التعبيريات Expressives: حيث نعبر عن مشاعرنا وتصرفاتنا.

٥ـ الإعلانيات Declarations: حيث نسعى في إتمام التغيرات في العالم عم طريق منطوقاتنا[١].

لاحظ سيرل أبعاداً عدة للاختلاف بين الأحداث الإنجازية في اللغة، كالاختلاف بين نوع وآخر في اتجاه المطابقة بين الكلمات والعالم، أو الاختلاف في الأوضاع النفسية والعقلية التي تعبر عنها أو الاختلاف في القوة التي يعرض بها الغرض الإنجازي الواحد، أو الاختلاف في وضع المتكلم والمستمع أو مكانتهما على نحو ما تظهر قوة المنطوق الإنجازية، أو الاختلاف في طريقة ارتباط المنطوق باهتمامات المتكلم والمستمع[٢].

أما الركيزة الثانية التي نهضت عليها نظرية الحدث اللغوي، فهي ـ كما أسلفت ـ إدراك معاني المنطوقات من خلال الاستعمال.

(أ) اللغة والعرف

في هذا المجال، نرى إسهاماً فعالا للنظرية في ربط الاستعمال اللغوي بالمعايير الاجتماعية والأعراف الاجتماعية. من شروط الأداء الناجح عند أوستين، أن يسلك المتكلم نهجاً عرفياً مقبولاً في نطق كلمات محددة في ملابسات محدد[٣]. هو نهج يتعارف عليه جميع أطراف الاتصال، حتى يكون المنطوق ناجحاً.

(١) راجع في تفصيل ذلك: المرجع السابق ص ص١١-١٩.

(٢) المرجع نفسه ص ٢ وما بعدها.

(٣) أوستين ص١٤.

الكلمـات التي تنطق نطقاً جـاداً تؤخذ كـذلك مأخـذ الجد[١]. وإذا قال المتكلم: "أعد بكذا" أجبر على أن يقيد نفسه بقـيد نفسي. ليس الوعد مسألة نطق كلمات فحسب. إنه حـدث داخلي نفسي[٢]. وفي كل حال، سـواء أدي الحدث بمنطوق أدائي أو بطرق أخرى غير المنطوق الأدائي، يجب أن تكون الملابسات مناسبة[٣].

نظرية اللغة عـند سيرل جزء مـن نظرية الفعل Theory of Action؛ وذلك أن الكلام شكل من أشكال الـسلوك التي تحكمـها القـواعد. وكـون الكلام سلوكـاً محكوماً بقواعد، يعني أن له ملامح شكليـة تسمح بدراسة مستقلة. ولكن دراسة هذه الملامح أو الخـواص الشكليـة دراسة خـالصـة من غيـر أن يدرس دورها في الأحداث اللغـوية، يشبه دراسـة شكلية لنظم العـملات والأرصدة في المعـاملات الاقتصادية. يمكن أن يقال مثل ذلك في دراسة اللغة من غير دراسة الأحداث اللغوية. ولكن أي نظرية شكلية خالصة مثل هذه ستكون بالضرورة نظرية ناقصة[٤].

كان سيـرل أعظم من غيره من أصحـاب النظرية اهتماماً بشـرح الأعراف التي تسري على الأحداث الإنجازية. جعل سيرل من حدث الوعد مثالاً. يستلزم الوعد مثلاً ذكر فعل في المسـتقبل يرغب فيه المستمع. كانت لسيـرل محاولته الفريدة في تحديد القـوانين التي تحكم الأحداث الإنجازية. في صدر مـحاولته ميـز سيرل بين نوعين من القوانين:

١ـ القـوانين المـنظمـة Regulative Rules: وهي التي تنظـم أشكال السلوك الموجودة بالفعل Pre - exiting مثل قـوانين الذوق الاجتـماعي أو آداب السلوك، وتقوم على تنظيم العلاقات بين الناس.

(١) أوستين ص٩.

(٢) المرجع نفسه ص ١٠.

(٣) المرجع نفسه ص٩، وقارن ص٨.

(٤) Searle. John: Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language. Cambridge Uni. Press. Cambridge- New York (1969) p. 17.

٢ـ القـوانين المكونة Constitutive Rules: وهذه القـوانين ليـست تنظيـمـيـة خالصة، بل تخلق صيغاً جديدة للسلوك أو تعينها.

يخلص سيـرل إلى أن كل تفاعل لغوي لـه قوانينه المنظمة. وقـد لا تحدد هذه القـوانين تحديداً صـريحاً، كـقولنا: "عند تقطـيع الطعام اجـعل السكين في يدك اليمنى". وتحكم هذه القوانين التحيات واختيار محاور الكلام وغيرها. أما القوانين التكوينية، فـتحكم الطرق التي ينبغي للمنطوق أن يتـخذ فيها شكلاً بعـينه، حتى يحـقق حدثاً إنجـازياً بعينـه. يرى سيـرل أن الأحداث الإنجـازية تؤدي وفق النوع الأخير من القوانين.

(ب) إنجازي واحد وقوى مختلفة

من أهداف هذه النظرية الكبـرى صيـاغة الأسس العـامة التي تربط بين مـعنى الجملة والحـدث اللغوي في استعـمال اللغة وفهـمها. كان الغـرض الإنجازي أحد معـايير تصنيف الأحـداث الإنجازية كمـا أسلفت. التفت أوسـتين إلى أن الحدث الإنجازي الواحد يمكـن ـ في ملابسات مناسبـة ـ أن يعبر عن درجات مخـتلفة من القوة الإنجازية. جعل أوستين العلاقات الدالة على القوة ستاً:

١ـ الصيـغة: وذلك أن "أغلقه ـ افعل" تـضاهي آمرك، و"أغلقه ـ سـأغلقة" تضاهي أنصحك، و"أغلـقه ـ إذا أحببت" تضاهي آذن، و"حـسناً جدا ـ أغلقه" تضاهي أرضى . . . الخ.

٢ـ نغمة الصوت وشدة النطق: وذلك ما تعرفه اللغة المنطوقة. ومثاله:

ـ ماضية في الإطلاق (تحذير)

ـ ماضية في الإطلاق؟ (سؤال)

ـ ماضية في الإطلاق؟! (اعتراض)

وتشديد النطق على منطوق الاعتراض مثلاً يقابله في اللغة المكتوبة وضع علامتي الاستفهام والتعجب.

٣ـ أشباه الجمل: مثل تكييف قوة "سوف أفعل..." بإضافة "من المحتمل" أو بما يضاد ذلك بإضافة" من غير تقصير"، أو توكيد اللفظ بالظرف نحو "لاتنس أبداً ..." ... الخ.

٤ـ أدوات الربط: من ذلك مثلاً: "من أجل ذلك "التي تستخدم في قوة "أستنتج"، و"بالرغم من ذلك" التي تستخدم في قوة "أسلم بأن".

٥ـ مصاحبات المنطوق: كأن نجعل المنطوق مصحوباً بحركات جسمية مثل: غمزة العين، وإشارة الإصبع، وهزة الكتف ... الخ.

٦ـ ملابسات المنطوق: وهي تقدم مساعدة مهمة للغاية؛ فالأمر يمكن أن يكون أمراً ، أو إذناً، أو عرضاً، أو التماساً، أو توسلاً، أو اقتراحاً، أو توصية، أو تحذيراً (اذهب وسترى)... الخ[١].

أما الأدوات الدالة على الوظيفة والتي تحدد ما هية قوة المنطوق الإنجازية، فهي تشتمل ـ عند سيرل ـ على: النظم Word Order والنبر Stress، ومنسوب التنغيم Intonation Contour، والوقف والابتداء Punctuation، وصيغة الفعل Mood، واستخدام أحد الأفعال الأدائية (كأن نبدأ جملة بـ"أعتذر" أو "أحذر" ونحوهما)[٢].

(جـ) القوة والغرض

عنيت النظرية أيضا بالتمييز بين الغرض والقوة. إذا كانت القوة درجات أداء الغرض شدة وضعفاً، فإن الغرض الإنجازي Illocutionary Purpose (أو المقصد الإنجازي Illocutionary Point) جزء من القوة الإنجازية، لا القوة نفسها، الغرض

(١) راجع في تفصيل ذلك: أوستين ص٧٣ وما بعدها.

(٢) Searle, John: What is a Speech Act? p. 142.

الإنجازي للالتماس هو نفسه غرض العرض الإنجازي، وذلك أن كلاً منهما محاولة لجعل المستمع يفعل شيئاً ما. الغرض الإنجازي فيهما واحد، ولكنهما يختلفان في القوة الإنجازية اختلافًا واضحاً. من ثم، عدت القوة الإنجازية محصلة عناصر عدة، الغرض الإنجازي عنصر واحد فقط منها، ولكنه ـ كما يقول سيرل ـ أهم تلك العناصر[1]. أما العناصر الأخرى، فهي المحتوى القضوي، والأدوات الدالة على القوة.

إذا كان المحتوى القضوي والغرض الإنجازي والأدوات الدالة على القوة الإنجازية العناصر المكونة للقوة، فإن القوة جزء من المعنى وليست المعنى. يعني ذلك بالتبعية أن يكون المعنى حصيلة تلك العناصر السابقة جميعاً.

(د) الحدث الإنجازي والمحتوي

عنيت نظرية الحدث اللغوي أيضاً بالعلاقة بين الأحداث الإنجازية والمحتوى. المحتوى قضية يعبر عنها الحدث الإنجازي. ليست القضية إخباراً ولا تبليغاً. الإخبار حدث إنجازي ولكن القضية ليست حدثاً على الإطلاق. ولكن حدث التعبير عن قضية جزء من أداء الحدث الإنجازي.

كان سيرل قد ميز بين الحدث الإنجازي والمحتوى القضوي الذي يكمن في هذا الحدث. وذكر سيرل في كتابه (الأحداث اللغوية ١٩٦٩) أن المحتوى القضوي قاسم مشترك بين أحداث إنجازية مختلفة في أشكالها ووظائفها، نحو:

ـ هل يترك س الغرفة؟ (سؤال)

ـ س سيترك الغرفة. (إخبار)

ـ س اترك الغرفة! (أمر) . . الخ [2]

(١) Searle, John: Expression, p. 3.

(٢) Searle, John: Speech Acts, Op. cit, pp. 141-142.

المحتوى القضوي سمة مشتركة عبَّر عنها في مثل ما سبق بأن يترك س الغرفة. كان سيرل قد لاحظ أن السياق ـ في مواقف الكلام الفعلية ـ يوضح غالباً ماهية قوة المنطوق الإنجازية، ولكنه انتهى إلى أن وجود السياق ليس ضرورياً لاستحضار الأداة على الوظيفة المناسبة(١).

وللمحتوى القضوي شروط. في حدث الوعد مثلاً جعل سيرل شروط المحتوى القضوى الأمرين التاليين:

١ـ أن يعبر المتكلم عن وجود الوعد في منطوق الجملة.

٢ـ أن يسند المتكلم ـ في تعبيره عن الوعد ـ الحدث المستقبلي إلى نفسه.

وصاغ سيرل من الأمرين قانونه الأول من القوانين الدلالية التي تحكم استعمال أية أداة دالة على الوظيفة في قضية الوعد (مثالاً على غيره) وأطلق عليه اسم (قانون المحتوى القضوي)، ونصه كالآتي: "ينطق الوعد في سياق الجملة (أو في شريحة أطول من الخطاب)؛ أي في المنطوق الذي يشتمل على حدث مستقبلي بعينه يؤديه المتكلم"(٢).

(هـ) المعنى والاستعمال

كان أوستين قد عنى بالتمييز بين القوة والمعنى والاستعمال. قال: "يمكننا ـ في أثناء ذلك ـ أن نستعمل "المعنى" أيضاً بالنظر إلى القوة الإنجازية: هو يقصد به أن يكون" أمراً" . . . الخ. ولكني أريد أن أميز بين القوة والمعنى على النحو الذي يكون فيه المعنى Meaning معادلاً للمفهوم Sense والمرجع Reference"(٣).

(١) المرجع السابق ص١٤٢

(٢) Searle, John: What is a Speech Act? pp. 150-152.

(٣) أوستين ص١٠٠.

وإذا كان الاصطلاحان" معنى Meaning و"استعمال Use" على حظ واحد من الغموض والاتساع، كما ذكر أوستين[١]، فقد ألمح إلى ما بين" استعمالات اللغة Uses of Language واستعمال الجملة Use of Sentence" من فرق. استعمال الجملة بمعنى الحدث اللفظي، وإن استعملت بمعنى الحدث الإنجازي [٢]. ولكن "استعمالات اللغة" تغطي الأحداث الإنجازية والأحداث التأثيرية. يمكن استعمال اللغة للمجادلة أو التنبيه، كما يمكن "استعمال اللغة" للإقناع والإثارة أو الإنذار بالخطر. ولكن "استعمالات اللغة" يمكن أن تغطي مجالات أوسع من ذلك وأكثر تنوعاً. على سبيل المثال، يمكن أن نتحدث عن استعمال اللغة للمزاح، كما يمكن أن نتحدث عن "الاستعمال الشعري للغة Poetical Use of Language in Poetry" ، من حيث إنه يتميز عن "استعمال اللغة في الشعر The use of Language in Poetry"[٣].

انتقل سيرل بالمعنى والاستعمال إلى أبعاد تنظيرية وتطبيقية جديدة:

في البعد التنظيري، انتهى سيرل إلى أن وهم محدودية استعمالات اللغة قد تولد عن الغموض الهائل فيما يكون معايير الفصل بين استعمال لغوي وآخر. قال سيرل: "إذا كان الغرض الإنجازي هو المبدأ الرئيس في تصنيف استعمالات اللغه، فسوف نجد ـ إذ ذاك ـ عدداً محدداً من الأمور الأساسية التي نفعلها بواسطة اللغة: نحن نخبر الناس بالكيفية التي تكون عليها الأشياء، ونحن نحاول أن نجعلهم يفعلون أشياء، ونحن نلزم أنفسنا بفعل أشياءَ، ونحن نعبر عن مشاعرنا وتصرفاتنا، ونحن نمهد السبيل لتغيرات من خلال منطوقاتنا، وغالباً ما نفعل أكثر من شيء واحد من تلك الأشياء دفعة واحدة وبالمنطوق نفسه"[٤].

(١) أوستين ص ١٠٠

(٢) المرجع نفسه ص ١٠٠-١٠١.

(٣) المرجع نفسه ص ص١٠٣-١٠٤

(٤) Searle, John: Expression, op. cit, p. 29.

(و) الأحداث اللغوية غير المباشرة

وفي البعد التطبيقي الذي اجتهد سيرل أن يصل من ورائه إلى مبادئ نظرية بحث حالات المعنى. الحالات الأبسط للمعنى أن ينطق المتكلم الجملة ويعني ما يقوله على وجهه التام والحرفي. يقول سيرل: "في مثل هذه الحالات، يقصد المتكلم إلى أن ينتج أثراً إنجازياً بعينه في المستمع Illocutionary Effect. وهو يقصد إلى إنتاج هذا الأثر بأن يجعل المستمع يتعرف مقصده لينجزه. وهو يقصد إلى أن يجعل المستمع يتعرف مقصده بالنظر إلى معرفة المستمع بالقوانين التي تحكم منطوق الجملة. ولكن ليست جميع حالات المعنى مثل هذه الحالة البسيطة"(١).

يدخل سيرل بذلك إلى موضوع "الأحداث اللغوية غير المباشرة Indirect Speech Acts. طرق أوستين باب الموضوع في عرضه المقتضب أدوات القوة الإنجازية، على نحو ما رأينا. ولكن سيرل أبلى فيه بلاء لم يبله أحد على الإطلاق، وصار من جاء بعده عالة عليه فيه، سواء من أهل النظرية أم من أهل تحليل الخطاب: العام والتقابلي. في باب "الأحداث اللغوية غير المباشرة" أدخل سيرل الإلماع Hint والتلميح Insinuation والمفارقة Irony، والاستعارة Metaphor. تلك حالات ينفك فيها معنى منطوق المتكلم Speaker's Utterance Meaning عن معنى الجملة Sentence Meaning. يرى سيرل أن النوع المهم من هذه الحالات هو هذا الذي ينطق فيه المتكلم جملة ويعني ما يقوله، ولكنه يعني أيضاً شيئاً ما أكثر. يضرب سيرل على ذلك مثلا بمنطوق المتكلم" أريدك تفعله" على نحو يلتمس فيه من المستمع فعل شيء بعينه. الواقع أن المنطوق هنا مقصود به أن يكون إخباراً أو تبليغاً Statement. ولكن قصد به أيضاً أن يكون في الأساس التماساً، التماساً معمولاً بطريقة عمل الإخبار أو التبليغ.

(١) المرجع السابق ص ٣٠.

هناك حالات أخرى ينطق فيها المتكلم جملة ويعني ما يقوله، ولكنه يعني أيضاً حدثاً إنجازياً آخر ذا محتوى قضوس مختلف. من ذلك مثلاً أن ينطق المتكلم الجملة: (هل يمكنك أن تمرر الملح؟)، وهو لا يعني سؤالاً مجرداً، بل يعني التماس تمرير الملح[1].

انتهى سيرل في بحثه الأحداث اللغوية غير المباشرة إلى عدد من الملحوظات والنتائج المهمة، نوجزها فيما يلي:

١ـ في مثل هذه الحالات يمتلك المنطوق الواحد قوتين إنجازيتين اثنتين. يؤدى هنا حدث إنجازي بعينه أداء غير مباشر عن طريق أداء حدث آخر.

٢ـ تبدو بعض الجمل من هذا النوع مستعملة غالباً استعمالاً عرفياً Conven-tionally used على أنها التماسات غير مباشرة.

٣ـ في الأحداث اللغوية غير المباشرة يبلغ المتكلم المستمع أكثر مما يقوله بالفعل عن طريق الاعتماد على خلفية المعلومات المشتركة المتبادلة بينهما: لغوية وغير لغوية، بالإضافة إلى اعتماده على قوى الإدراك والاستدلال العامة عند المستمع.

٤ـ بناء على ذلك، فإن الجهاز الضروري لشرح الجانب غير المباشر من الأحداث اللغوية غير المباشرة سوف يشتمل على نظرية الأحداث اللغوية، وعلى بعض الأسس العامة للمخاطبة، وعلى خلفية المعلومات المشتركة المتبادلة بين المتكلم والمستمع، فضلاً عن مقدرة المستمع على الاستدلال.

٥ـ من حقل الأحداث الإنجازية غير المباشرة، كانت منطقة التوجيهيات Di-rectives الأكثر فائدة للدراسة؛ وذلك أن متطلبات الكياسة أو التأدب في المخاطبات المألوفة تجعلها ثقيلة ومحيرة في إنتاج جمل أمرية بسيطة (نحو: "اترك

(١) المرجع نفسه ص ٣٠.

الغرفة") أو أدائيات صريحة (نحو: "آمرك أن تترك الغرفة"). من ثم، نسعى إلى إيجاد وسائل غير مباشرة لأداء أحداثنا الإنجازية.

٦ـ يلعب العرف في بعض الحالات دوراً خاصاً. هناك بعض الصيغ اللغوية التي تميل إلى أن تصبح مؤسسة تأسيساً عرفياً على أنها الصيغ اللغوية القالبية المعيارية للأحداث اللغوية غير المباشرة. في الوقت الذي تحتفظ فيه تلك الصيغ بمعانيها الحرفية، تكتسب استعمالات عرفية، كصيغ التأدب المستخدمة للالتماس.

٧ـ في ضوء ما سبق، يسلم سيرل بالتمييز بين المعنى والاستعمال. ولكنه يرى أن التسليم أقل بالتمييز بين أعراف الاستعمال وأعراف المعنى؛ وذلك أن "هل يمكنك" و"أريدك أن" ونظائرها من الأشكال اللغوية الأخرى، ليست ـ في رأيه ـ إلا وسائل عرفية لعمل الالتماسات. والتأدب هو الدافع الأظهر إلى عدم المباشرة في الالتماسات. هنا تميل بعض الصيغ بالطبع إلى أن تصير وسائل التأدب العرفية لعمل الالتماسات غير المباشرة[١].

شغلت الأحداث اللغوية غير المباشرة أصحاب نظرية الحدث اللغوي واللسانيين التوليديين ومحللي الخطاب. أكثر محللو الخطاب من اعتماد نتائج الفلاسفة اللغويين. وشغل التوليديون بالنتائج التركيبية التي تنتج عن المقارنة بين الأنواع النحوية لمنطوقات الجمل من هذا النوع ووظائفها. ولكن سيرل يحتل منزلته المتميزة في إعادة بناء الخطوات الضرورية لإنتاج حدث إنجازي أولى من حدث إنجازي حرفي. وهي إعادة بناء مؤسسة على حقائق عن المخاطبات، وأسس التعاون الخطابي، ونظرية الأحداث اللغوية، وخلفية المعلومات المشتركة بين المتخاطبين، ومبدأ الاستدلال[٢]. من ناحية أخرى، ينفرد سيرل بين أصحاب النظرية جميعاً

(١) المرجع نفسه ص ص٣١-٤٩.

(٢) المرجع نفسه ص ص٣٣-٣٤ وراجع تلك الخطوات العشر ص٣٤ وما بعدها.

وغيرهم، بمحاولته تصنيف أنواع الجمل المستعملة استعمالاً عرفياً في أداء توجيهات غير مباشرة في مجموعات ست محددة، استنبط منها عدداً من الحقائق المهمة؛ فجملة نحو: "هل يكنك تمرير الملح؟ "ليس لها قوة أمرية حتى نجعلها جزءاً من معناها، وليست غامضة الغموض الذي يكون بين قوة إنجازية أمرية وقوة إنجازية غير أمرية. وهي مستعملة استعمالاً معيارياً وقياسياً، بل عرفياً، لإصدار توجيه. وهي ليست قالباً مسكوكاً idiom؛ لأنها تسمح مستخدمة توجيهاً غير مباشر باستجابات حرفية. وكونها غير قالب لا يعني أنها غير قالبية، فهي قالبية في استخدامها التماساً، وهي ذات منطوق حرفي لا يجعلها التماساً غير مباشر؛ وذلك أنها قد تكون سؤالاً بسيطاً عن قدرات المخاطب، وهي تظل على معناها الحرفي في حال نطقها التماساً. وعندما تنطق في غرض إنجازي أولي للتوجيه، سوف يؤدى الحدث الإنجازي الحرفي أيضاً[1].

من تصنيف سيرل الجمل المستخدمة عرفياً في إنجاز توجيهات غير مباشرة استنبطت شروط خمسة تجعل الحدث اللغوي التماساً، هي ـ على الاختصار:

* قدرة المستمع على أداء الفعل.
* رغبة المتكلم في أن يؤدي المستمع الفعل.
* قيام المستمع بأداء الفعل.
* رغبة المستمع في أداء الفعل.
* أسباب أداء الفعل[2].

(١) انظر تفصيل ذلك: المرجع السابق ص ص٣٦-٤٣

(٢) استنبطت تلك الشروط من تصنيف تلك الجمل إلى مجموعات. صارت تلك الشروط معروفة باسم "شروط جعل الحدث اللغوي التماساً". راجع المجموعات تفصيلاً في المرجع السابق ص٣٦ وما بعدها.

استخدمت تلك الشروط أداة من أدوات اختبار قوانين الأحداث اللغوية التي تطبق في الاتصال بين الثقافات من زاوية لغوية تداولية. بيد أن بعضاً من شروط سيرل كان موضع نظر من الباحثين اللاحقين على نحو ما سنرى.

نقد النظرية:

وضعت نظرية الحدث اللغوي أيديها في قوة على كثير من خواص المنطوقات الدلالية، لاسيما تحديد القوانين الدلالية للحدث الإنجازي، وتحليل القوة والغرض والإنجازيين، وتحليل الأحداث اللغوية غير المباشرة.

وكان تأمل المنطوقات في ضوء المواقف وأعراف الاستعمال لتعيين وظائفها من أهم ضمانات الكفاءة المنهجية لتلك النظرية، ومن أهم ما أهّلها أن تكون رافداً مهماً من روافد التداولية اللغوية، وتعد محاولة كير إيلام الإفادة من مبادئ هذه النظرية في تحليل أنماط الحدث اللغوي في الدراما، من حيث إن الحدث اللغوي في حد ذاته صيغة التفاعل الرئيسية في الدراما[1]، من أهم ما يبرهن على قابلية هذه النظرية لأن تكون آلية منهجية جديدة من آليات تحليل الخطاب الأدبي.

شهد كثيرون من غير أهل النظرية بما لها من مكانة في النظرية اللغوية المعاصرة. يقول فان دايك Van Dijk مثلاً: "في المؤكد أن تطبيق نتائج فلسفة نظرية الفعل Theory of Action ومنطقها من مجال تحليل الأحداث اللغوية، ليس محوراً هامشياً في النظرية اللغوية. بالكلام نفعل شيئاً ما، شيئاً أكثر من الكلام المجرد. هذا أمر بسيط، ولكنه تبصر مهم من فلسفة اللغة"[2].

(١) راجع ذلك في: إيلام، كير: سيمياء المسرح والدراما، ترجمة رئيف كرم. المركز الثقافي العربي، بيروت (١٩٩٢) ص٢٤٢ وما بعدها.

(٢) Van Dijk, Teun, A.: Text and Context. Explorations in th Semantics and Pragmatics of Discourse. Longman. London and New York (1980) p. 167.

فضلاً عما سنجده للاتجاه اللغوي النصي من وجهات نظر في بعض المبادئ التي قامت عليها نظرية الحدث اللغوي، فقد أخذت النظرية من بعض الوجوه عند عدد من اللغويين المهتمين:

١ـ في بحث انتهاك قوانين الحدث اللغوي، يقف رون وايت Ron White على الشروط التي حددها سيرل لجعل الحدث اللغوي التماساً: كان سيرل ـ على نحو ما مرّ بنا ـ قد حدد شروطاً خمسة. يرى وايت أن القول بتوافر جميع هذه الشروط قول فيه نظر؛ وذلك أنه من غير الضروري عند أداء المستمع فعل الالتماس أن يتحقق من مثل تلك الشروط؛ لأن المستمع يمكن أن يفسر الالتماس تفسيراً صحيحاً ولكنه يسكت عن إنجازه(١).

٢ـ كان تصنيف سيرل الأحداث الإنجازية تعديلاً لتصنيف أوستين، على أساس مبادئ أولية وثانوية أشرنا إليها. ولكن تصنيف سيرل لم يسلم من بعض المآخذ المهمة:

(أ) يرى توماس بالمر Thomas Ballmer أن الأصناف الخمسة للأحداث الإنجازية عند سيرل، تسمح بتوزيعات فرعية أخرى. قدم بالمر لنقده قائمة بأحد عشر شرطاً يجب توافرها في أي تصنيف(٢). يرى بالمر أن سيرل وفر لتصنيفه بعضاً مما اشترط، ولكنه لم يوفر له شروطا أخرى. يرجع ذلك جزئياً إلى تعقيد الأوضاع الرئيسية للأحداث اللغوية من ناحية، وإلى أن سيرل لم يوضح ماهية

(١) White, Ron: Saying please: Pragmalinguistic failure in English interaction. ELT Journal. Vol. 47/3 July. Oxford Uni. Press (1993) pp. 193-202, p. 194.

(٢) راجع هذه الشروط مفصلة في:

Ballmer, Thomas T: Probleme der Klassifikation von Sprechakten.In: Guenther Grewendorf (Hrsg.): Sprechakttheorie und Semantik, Suhrkamp Verlag Frankfurt (1979) SS. 247-274, SS. 253-255.

الحدث اللغـوي توضيحاً نهـائياً من ناحية ثانيـة، وإلى أنه لم يوفر لتصنيفـه الدقة الكافية من ناحية ثالثة. من شروط بالمر التي خلا منها تصنيف سيرل:

ـ أنه لم يوفـر شرط الشمـول فلم يكن تصنيـفه شـاملاً Vollstaendig. هناك أحداث يمكن أن ينظـر إليها على أنهـا أحداث لغوية، لكنهـا لا تناسب أي صنف من أصناف سيرل الخمسة. مثال ذلك المغني الذي يكرر اللازمة" ترا لا لا لا، ترا لا لا لا" في نهاية المقطـع الرئيس؛ فعرضـه الإنجازي الوحيـد أن يؤدي منطوقات من نوع بعينه، منطـوقات مناسبة إيقـاعياً. لا يقـرر هذا المغني شيئـاً بعينه. ليس غرضه أن يعطي المستـمع سبباً لذلك، ولا أن يعبر عن قـصد بعينه، ولا أن يقول شيئاً عن شيء حقيقي[1].

ـ لم يوفر شرط التمييز، فلم يكن تمييزياً distinktive؛ وذلك أن هناك أكثر من خمسة أحداث لغوية بينما تصنيفه كان خماسياً[2].

ـ لم يوفـر شرط التجـانس، فلم يكن تصنيـفه مـتجـانساً homogen، وذلك لتـفـاوت تحليل الأصنـاف في درجـة العـمق: فـالالتـزامـيـات نوع خـاص من التوجيهيـات. الالتزاميات توجيهيات ذاتية. ولكن لا توجـد عرضيات ذاتية، ولا تعبيريات ذاتية، ولا إعلانيات ذاتية[3].

(ب) ويري ديتر فوندرليش Dieter Wunderlich ضرورة التميـيز بين الشروط الدلالية والـشروط التداوليـة عند التصنيف. الـشروط الدلالية هي كل مـا يرتبط بالمعنى الحرفي للمنطوق ومـا يرتبط بالسياق المحايد الذي يجـمع المتكلم والمخاطب وزمن الكلام ومكانه. مـثال ذلك أن الطلـب يتمـيز بعـامة من الناحـية الدلاليـة

(١) المرجع السابق ص٢٥٥.

(٢) المرجع نفسه ص٢٥٦.

(٣) المرجع نفسه ص٢٥٨.

باستخدام الأمر في سياق محايد. أما أن يعرض الطلب رجاء أو أمراً، فهذا يكون في سياق غير محايد، من خلال تناول علاقات اجتماعية بين المتكلم والمخاطب أو بمراعاة سياقات لغوية سابقة. العامل الحاسم عند فوندرليش ليس مقصد المتكلم فحسب، فهناك أيضا التفاعل بينه وبين المخاطب(١).

٣ـ كان سيرل قد بيّن أن السياق ـ في مواقف الكلام الفعلية ـ يوضح غالباً ماهية قوة المنطوق الإنجازية، ولكنه انتهى إلى أن وجود السياق ليس ضرورياً لاستحضار الأداة الدالة على الوظيفة المناسبة(٢). وتبدو عناية سيرل بالمحتوى القضوي على حساب السياق، مما حدا ديتر فوندرليش في خريف عام ١٩٧١ إلى أن يكتب بحثاً تحت عنوان كتاب سيرل المقصود ذاته (الأحداث اللغوية Spre-chakte) ظهر في عام ١٩٧٣، وجعله موجهاً في قوة إلى سيرل راغباً إعلاء دور السياق ومنتقداً سيرل في معالجته الأحداث الإنجازية مفردة منعزلة عن سياقاتها، ومؤكداً أن ما يستطيع المرء أن يفعله بالجمل إنما يرتبط ارتباطاً جزئياً بمحتواها. ضرب فوندرليش مثلاً على ذلك بثمانية عشر حدثاً إنجازياً اشتركت في محتواها القضوي وفي غرضها الإنجازي العام وهو الطلب. أما الأداة الدالة على القوة فيها، فهي مختلفة باختلاف التفصيلات الموفقية:

١ـ (. . .) أغلق النافذة!

٢ـ (. . .) كن لطيفاً وأغلق النافذة!

٣ـ (. . .) هل تغلق النافذة؟

٤ـ (. . .) هل تكون لطيفاً وتغلق النافذة؟

---

(١) نقلا عن: Vater, Heinz: Einfuehrung in die Sprachwissenschaft. Wilhelm Fink Verlag - Munchen (1994) SS. 208-209.

(٢) Searle, John: Speech Acts, op. cit, p. 142.

٥ـ (. . .) هل يمكن أن تغلق النافذة؟

٦ـ (. . .) هل تتفضل بإغلاق النافذة؟

٧ـ (. . .) ألا يمكنك أن تغلق النافذة؟.

٨ـ (. . .) يمكنك أن تغلق النافذة.

٩ـ (. . .) أنت تستطيع أن تغلق النافذة.

١٠ـ (. . .) أكون ممتناً إذا أغلقت النافذة.

١١ـ (. . .) أعتقد أنه يجب عليك أن تغلق النافذة.

١٢ـ (. . .) أريدك أن تغلق النافذة.

١٣ـ (. . .) لماذا لا تغلق النافذة؟

١٤ـ (. . .) لماذا تظل النافذة مفتوحة هكذا دائماً؟

١٥ـ (. . .) النافذة ما زالت مفتوحة.

١٦ـ (. . .) أتعجب أنك لا تضيق أبداً باستمرار النافذة مفتوحة!

١٧ـ (. . .) بالجو تيار هواء!

١٨ـ (. . .) ألا تلاحظ أبداً أن بالجو تيار هواء؟[١].

يؤكد فـوندرليش ارتباط الأثر الاتصـالي بالموقف الخاص. وتظهـر تلك الجمل عجز النوع النحوي في ذاته عن تحديد الوظيفـة التي تؤديها عندما تصير منطوقات في تفاصيل موقفية محددة. وإذا كانت تلك المنطوقات في مواقف مختلفة من والد إلى ولده مثـلاً، فلا يتصـور أن الوالد عندما يقـول لولده: أعطني الكتاب" مـثلاً سوف يقوم بإغلاق النافذة!

(١) Wunderlich, Dieter: Sprechakte.In: Hans Buehler (Hrsg.): Sprache 2: Ein Ein-fuehrung in die moderne Linguistik, Fischer aschenbuch Verlag. Frankfurt (1973) SS, 113-123, SS. 113-114.

ويؤكد فوندرليش أيضاً أن الجملتين الأخيرتين ١٧، ١٨ تشتغلان على أساس معرفة إضافية؛ فكل من المتكلم والمخاطب يعرف أن تيار الهواء يوجب إغلاق المفتوح، وكل منهما يسلم بأن الآخر يعرف هذا[١].

لا تنال الانتفادات السابقة من سلامة المرتكزات الأولية التي نهضت عليها النظرية: الكلام فعل، والمعنى في الاستعمال. ولكنها ـ في الوقت نفسه ـ مما ينبغي أن يهيأ له مكان مناسب من العناية في أي عمل تطبيقي.

الأحداث اللغوية والمقاربة النصية

لا تكشف أدبيات نظرية الحدث اللغوي عن اتجاهات من داخلها متمايزة. هي جميعاً مشتركة في غايتها الكبرى: تقديم فلسفة متكاملة للغة، وفي الوسيلة: بحث المعنى والاستعمال، وفي المبدأ: الحدث اللغوي وظيفة معنى الجملة، ومعنى الجملة لا يحدد بمفرده ما أدي من حدث إنجازي بأحد منطوقاتها، والمنطوق قد يعني عند المتكلم أكثر مما يقوله بالفعل، فضلاً عن الاشتراك بينها جميعاً في قطاع العمل: الجملة.

لا يخفى اتخاذ اللسانيات التوليدية من نظرية الحدث اللغوي وسيلة منهجية ومفهومية من أجل تبصرات جديدة بطبيعة اللغة، لاسيما في بابي التحليل الأدائي، ومفارقة نوع الجملة النحوي لوظيفتها الموقفية والخطابية.

لم ترد نظرية الحدث اللغوي لنفسها أن تكون نظرية نحوية. هي نظرية في الاستعمال اللغوي، وإن كانت ذات نتائج نحوية؛ وذلك أن نظرية في النحو لا تستطيع أن تتجنب معالجة القوة الإنجازية تجنباً كاملاً، ما دامت هناك المنطوقات الأدائية الصريحة.

(١) المرجع السابق ص١١٦.

ويمكن القـول بأن لسانيـات النص وتحليل الخطاب قـد انتقلت بنظرية الحـدث اللغوي إلى طور جـديد، عدلت فيـه المنهجيـات والمفاهيم حـتى تناسب إجراءات التعامل مع أبنية لغوية أكبـر من الجملة. إذا كانت نظرية الحدث اللغوي في بعدها الفلسفي قد نسجت على منوال الجملة، فقد أرادت نظرية النص وتحليل الخطاب ـ باعتمادهـا آلية منهجية لغوية تداوليـة مهمة ـ أن تعيد نسـجها على منوال السلسلة المتماسكة أو النص الكامل. كانت نظرية الحـدث اللغوي قد وقفت عند الأحداث الإنجازية في جمل مـفردة، فأراد الاتجاه النصي أن يراقب عـلاقات تلك الأحداث في متواليات لغوية متدرجة في بنية إنجازية كبرى هي النص، بدلا من إكراه الجملة على القيام بمعظم التعقيدات اللغوية التي تنشأ عن استخدامات حقيقية في مبادلات الاتصال الفعلي.

اهتم ديتر فوندرليـش ـ في مراجعته قـوانين سيرل عن حدث الوعد ـ ببـيان ما تقدمـه النصوص أو مـقاطع منهـا من إضافـات تشخص الحدث اللـغوي. ناقش فوندرليش ذلك من خلال السلاسل المتوالية وبنيـة الحوار التي تحدد وظيفة أحداث لغوية بعينها في سياق نصي. المهم هنا ملاحظته أن الحدث اللغوي يمكن أن يشغل وظائف عدة في آن معاً. مثال ذلك المنطوق رقم (٧) في المحادثة التالية يعد إقراراً من الناحيـة الدلالية (بحسب شـروط النجاح) ولكنه رفض واستنكار من الناحـية التداولية (بحسب وظيفته في الخطاب):

١ـ الأم: كلاوس! ألا تأتي إليّ؟

٢ـ الابن: لماذا؟

٣ـ الأم: آه مازلت هناك، لتناولني الوسادة.

٤ـ الأم: عندما تفرغ مما بيدك، تعال هنا، نعم؟

٥ـ الابن: لماذا؟

٦ـ الأم: إذن لننظف أسناننا.

٧ـ الابن: ( ) هذا ما يفعله أبي.

٨ـ الأم: نعم، يفعله.

٩ـ الابن: أبي، نظف لي أسناني!

١٠ـ الأب: تستطيع أن تفعل هذا وحدك.

١١ـ الابن: لا، افعل هذا لي.

١٢ـ الأب: طيب.

١٣ـ الابن: تعال، يا أبي![١].

وكان فان دايك من أوائل علماء اللغة النصيين الذين عنوا بتوجيه نظرية الحدث اللغوي من طريق الجملة إلى طريق النص. أفرد فان دايك الفصل التاسع والأخير من كتابة (النص والسياق Text And Context) لما أسماه "الأحداث اللغوية الكبرى Macro - Speech Acts". وكان قد مهد له في الفصل الذي قبله بمبحثه عن "سلاسل الأحداث اللغوية Speech Act Sequences. يقصد فن دايك بالسلسة إنجاز حدثين لغويين بمنطوق جملة واحدة، مثل:

١- سأعطيك النقود، ولكنك لن تحافظ عليها.

٢- لا تسافر إلى إيطاليا في هذه الأيام؛ لأن الطقس سيء جداً.

يلاحظ أن المنطوق (١) يضم وعداً متلواً بتقرير، ويضم المنطوق (٢) نصيحة متلوة بتوكيد. من ناحية أحرى، هناك أمثلة عدة،و لا يمكن للأحداث اللغوية فيها أن تؤدى في سهولة بمنطوق جملة واحد، مثل:

(١) Wunderlich, Dieter: Was ist das fuer ein Sprechakt? In: Guenther Grewendorf (Hrsg.): Sprechakttheorie und Semantik. op. cit., SS. 275-324, SS. 290-291.

١- الجو بارد هنا ومن فضلك أغلق النافذة.

٢- لأنني حزين، أغلق فمك!

٣- لأنني ليس معي ساعة، ما الوقت؟

ليس الربط بين مثل هذه الجمل ربطاً مباشراً. من ثم تفسَّر أدوات الربط فيها تفسيراً دلالياً. يقول فان دايك: "الأحرى أن نقول إن كوني بارداً شرط لعمل التماس، وكوني حزيناً شرط لإصدار أمر، وعدم امتلاكي ساعة شرط لتوجيه سؤال. يعني هذا أن الحدث اللغوي الأول شرط للحدث اللغوي التالي. ويمكن أيضاً للقضية أن تكون شرطاً لتفسير قضية تالية في السلسة أو استلزامها. في جميع تلك الحالات، يقدم التصريح الأول دافعاً للالتماس أو الطلب أو الاستفهام"(١).

يخلص فان دايك من هذا إلى الحاجة إلى أدوات ربط تداولية بين أوائل الجمل، أو جمل جديدة. وينتج عن ذلك تغيير القوة الإنجازية التي يستلزمها منطوق الجملة الجديدة:

١- من فضلك أغلق الباب وأشعل المدفأة!

٢- من فضلك أغلق الباب ومن فضلك أشعل المدفأة!

٣- من فضلك أغلق الباب أو من فضلك أشعل المدفأة!

السؤال الآن: هل يضم كل منطوق مما سبق حدثاً واحداً أم حدثين اثنين؟. يرى فان دايك أننا أنجزنا التماساً واحداً فقط بعمل شيئين اثنين. يستنتج هذا من عدم مناسبة المنطوقين ٢، ٣. لو كان لدينا التماسان، لكان تكرار "من فضلك" مقبولاً. وفي حال الفصل، نؤدي التماساً واحداً؛ على معنى أن المستمع سوف ينجز أحد الفعلين الذي هو بديل من الآخر(٢).

(١) Text and Context, op. cit., p. 213.

(٢) المرجع السابق ص٢١٣.

النتيجة هي ما يلي: "تفسَّر سلسلة الأحداث بأنها حدث واحد، إذا كانت تشير إلى مقصد أو هدف إجمالي واحد. ويمكن لهذا الحدث ـ على مستوى أعم ـ أن يكون بدوره شرطاً أو نتيجة لأحداث أخرى"(١).

تمهد هذه النتيجة إلى ولوج الحدث اللغوي الأكبر. يعني فان دايك بالحدث اللغوي الأكبر الحدث اللغوي الإجمالي الذي يؤديه منطوق الخطاب الكلي والذي تنجزه سلسلة من الأحداث اللغوية المختلفة الممكنة.

يعرض فان دايك هنا لمسألتين مهمتين:

(أولاهما) التنظيم الكلي للتفاعل الاتصالي.

و(الأخرى) الأحداث اللغوية الكبرى والخطاب.

في مناقشة المسألة الأولى، أدخل فان دايك التمييز الاصطلاحي بين" الأحداث اللغوية المفردة" و"البنية الطولية لسلاسل الأحداث اللغوية" من ناحية، وبينها وبين "البنية الكلية الشاملة للتفاعل الاتصالي" من الناحية الأخرى. هذا التمييز يدعمه التمييز المناظر ـ من حيث ميدان العمل ـ بين التداولية الصغرى والتدوالية الكبرى. التداولية الكبرى دراسة التنظيم الكلي للتفاعل الاتصالي؛ أي التنظيم الكلي لمتوالية الأحداث اللغوية والسياقات وعلاقتها ببنية الخطاب.

يثير تحليل التفاعل الاتصالي تحليلاً أكبر التساؤلات والإشكاليات التالية:

١- هل يمكن أن تدرج المتواليات من الأحداث اللغوية تحت أحداث لغوية أعم، وهل هناك بنية تداولية كبرى؟.

٢- إذا كان ذلك كذلك. فما الوظيفة التداولية للأحداث اللغوية الكلية؟.

٣- ما الأساس المعرفي والاجتماعي الذي يبنى عليه هذا التمييز؟.

(١) المرجع نفسه ص٢١٥.

٤- من أي ناحيـة تعد الأحداث اللغوية الكليـة مرتبطة ارتباطاً نظاميـاً بالأبنية النصية الكبرى؟.

٥- ما الدليل العملي على الزعم بأن التفاعل (الاتصالي) له أيضا بنية كبرى؟.

يمكن أن نوجز خلاصة ما انتهى إليه فان دايك في مناقشاته الإشكاليات السابقة فيما يلي:

١ـ تستلزم متواليات الأحداث اللغـوية كالأفعال بعامة Actions - تخطيطاً كلياً وتأويلاً كلياً أيضاً. وتعد القصص والإعلانات أمثلة على أنماط الخطاب التي يكون ارتباطها بأحـداث لغوية كلية أقوى من ارتباطها بأحـداث لغوية مكونة من عناصر مفردة.

٢ـ الحدث اللغوي الذي تؤديه أحداث متوالية من الأحداث اللغوية يسمى باسم "الحدث الـلغوي الإجمـالي Global Speech Act" أو "الحدث الـلغوي الأكـبر Macro - Speech Act". تفسـر متواليـة الأحداث اللغوية فـيما يلي بأنهـا حدث إجمالي واحد هو الوعد:

(والد يتأمل ما رسمه ولده الصغير):

أ : ولكن هذا رسم خرافي! هل أنت الذي رسم هذا؟

ب : بالطبع أنا الذي رسمه!

أ : هائل. أحبه. لكنني أرى أنك تحتاج إلى ألوان أكثر.

ب: نعم. كاد الأزرق أن ينفد.

أ: إذن سأشتري لك بعض الألوان الجديدة.

ب: لا تنسها ثانية.

أ: كلا! سأجعلها منديلاً بيدي!

ضمت الحادثة أحداثاً لغوية عدة؛ كالمدح، والسؤال، والتصريح، والاقتراح، والتوكيد، والوعد. ولكن الوظيفة الإجمالية هي الوعد، وربما كانت الوعد في مدح.

٣ـ استخلاص الحدث اللغوي الإجمالي من عدد من سلاسل الأحداث اللغوية يوجب طرح المعلومات غير المناسبة؛ أي أن الأحداث اللغوية التحضيرية أو المساعدة يجب أن تطرح، كما تطرح الأحداث اللغوية الجزئية التي تحدد ـ في مجموعها ـ المكون الأساس للأحداث اللغوية الإجمالية الناتجة. يجب أن تطرح كذلك عبارات التحية وردودها (أهلاً، مرحباً) وعبارات الإبقاء على إقامة الاتصال (اسمع) مما يسميه فان دايك بالزخارف الاجتماعية Social Decorations.

للأحداث اللغوية المفردة إذن وظيفة التحضير أو المساعدة في إنجاز الحدث اللغوي الرئيس، سواء أكانت وظيفة إتمام الحدث أم توكيده.

٤ـ للأحداث اللغوية الكبرى وظائفها في تخطيط الأفعال الإجمالية وإنجازها. ويناسب هذا السياق العريض من التفاعل الأوضاع العقلية (كالمعارف والمعتقدات) والاجتماعية النهائية التي يعرضها الحدث اللغوي الكلي[١].

وفي المسألة الثانية: تأمل علاقة الأحداث اللغوية الكبرى بالخطاب، يضع فان دايك يده على عدد من الحقائق المهمة، نوجزها فيما يلي:

١ـ لا يعتمد تحديد المعلومات المهمة عند تشخيص المعنى الإجمالي لقطعة من الخطاب أو للخطاب كلية، لا يعتمد على البنية الدلالية للنص فحسب، بل يعتمد أيضاً على الوظائف التداولية للخطاب؛ لأن هناك محددات تداولية خاصة ترتبط بنمط الخطاب نفسه.

(١) المرجع نفسه ص ص٢١٥-٢٤٣.

٢ـ الأعراف التداوليـة والاجتماعية هي التي تتـحكم في المخايرة بين المعلومات المعروضة. لانتصل بأحد جيـراننا هاتفياً لنقول له "أهلاً" أو "كيف حالك؟". لا نقول مثل هذا ـ على أقل تقدير ـ لجيران نراهـم كل يوم. معنى التحية هنا هامشي بالنظر إلى معان أخرى في الخطاب.

٣ـ تشكيل الأبنيـة الدلالية الكبرى هو أيضـاً وظيفة الـتداولية الكبـرى. وتحدد البنية الدلالية الكبرى بدورها نجاح الحدث اللغوي الأكبر. وللحدث اللغوي الأكبر محتواه. والمحتوى هو النتاج الأكبر للخطاب برمته[١].

وفي بحث العلاقة بين الربط ونمو القضـية، يبرز ودوسون Widdowson مسألة مهمة، هي أن الحالة المعرفية للمستـمع تحكم صيغة القضية التي يعبر عنها المتكلم؛ أي أن القضية ليست مطلقـة، ولكنها تكيف مع الآخرين. يرتبط هذا بالحكم على الجمل بأنها مناسبـة سياقياً إذا عبرت عن قـضايا على نحو يناسب نمو الخطاب في جملته نمواً قضوياً Propositional Developmenet [٢].

يؤكد ودوسون أن القـضية المعبر عنها في جـملة تعتمد بالضرورة على القـضية المعبر عنها في جملة أخرى[٣].

إن فهم الاستعمـال اللغوي يقتضي أن ندرك أن إنتاج الجملة تعبـير عن قضية، وأن التعبير عن قضية أداء حدث إنجازي. ولكن هذه القضايا والأحداث لا تقع في عزلة، بل يضم بعضها إلى بعض لتكوين خطاب.

ويتفق ودوسون مع محللي الخطاب الآخرين في النظر إلى النص من حيث هو

(١) المرجع نفسه ص ص ٢٤٣- ٢٤٤.

(٢) Widdowson, H.G.: Teaching Languege as Communication. Oxford Uni. Press (1984) pp. 24-25.

(٣) المرجع السابق ص ٤٠.

ضمـيمة من الأحـداث الإنجازية التي تكون وحـدة مقبـولة من الاتصال. وأكـثر النصوص قبولاً أكثرها تماسكاً معنوياً. وللتـمسك المعنوي علاقته بالوظيفة الإنجازية للقضايا(١).

تدور حـجة منظـري النص ومحللـي الخطاب في ضرورة مـعـالجة الأحـداث الإنجازية النصـية على محـور الاحتكام إلى طبـيعة السلوك اللغـوي العادي الذي يتألف من استعمال جمل تخلق خطاباً.

يدلي ميخـائيل ستوبس Michael Stubbs بدلوه في توجيه مـسار نظرية الحدث اللغوي إلى النص. يـأخذ ستـوبس على هذه النظرية تناقضـها. في الوقت الذي تؤكد فيـه قيامها على استـعمالات اللغة وعلى المنطوقات لا الجـمل، كانت تعول على أحكام مستنبطة من جمل منفردة مـتجاهلة السلاسل المتصلة من الأحداث في محادثات طبيعية(٢).

في الخطاب ما يسمى بالأحداث اللغوية التعاونية Co- operative Speech Acts وهي أحداث يشتـرك في أدائها أكثر من متكلم واحد. تبنى المخـاطبات بالضرورة من مثل تلك الأحداث الخطابية التي تحدد في مجموعها بحسب وظائفها الداخلية، أي من داخل الخطاب ذاته(٣).

ولعل أهم ما وضع سـتوبس يده عليـه العلاقة بين الأحـداث اللغوية والأدوار الاجتماعية. ويمكن أن نوجز أهم ما انتهى إليه هنا فيما يلي:

١ـ ضرورة الاهتمام بما يسميه "الحدث اللغوي الجمعي Collective Speech Act ".

---

(١) المرجع نفسه ص ٥١.

(٢) Stubbs, Michael: Discourse Analysis: The Sociolinguistic Analysis of Natural Language. Basil Blackwell. Oxford (1989) p. 148.

(٣) المرجع السابق ص١٤٩.

الصلة بين الأحداث اللغوية والأدوار الاجتماعية أقوى مما أظهرته أدبيات نظرية الحدث اللغوي الفلسفية، ومن ثم، فإن دراسة الأحداث اللغوية تعد ـ على نحو أعظم مما بينته أدبيات النظرية الفلسفية ـ عملاً لغوياً اجتماعياً. ويقترح ستوبس تقسيم الأحداث اللغوية إلى:

(أ) أحداث يتكلم فيها المتكلم لمصلحته الخاصة.

(ب) أحداث يتكلم فيها المتكلم في دور بعينه لمصلحة جماعة بعينها. ومن هذا النوع:

ـ نحن نوافق على الاقتراح.

ـ نحن نعد بأن نبقى على هذا القرار.

ـ نحن نرغب في أن نسأل عن تفسيرك.

هذه الحالات طبيعية في المفاوضات، حيث يتكلم المتكلمون لمصلحة الآخرين الذين اختاروهم ومنحوهم السلطة ليتكلموا لمصلحتهم. في مثل هذه الحالات، لا تقبل تلك الأفعال الأدائية الإسناد إلى ضمير المتكلم المفرد.

٢- يبدو الموقف ـ في بعض الخطابات ـ أشد تعقيداً. قد ينتج المتكلم نفسه منطوقات رسمية، يؤديها مستنداً إلى دور اجتماعي بعينه. ويمكن أن ينتج منطوقات أخرى في الوقت نفسه تمثل وجهة نظره. في افتتاح جدول الأعمال أو إغلاقه يتكلم رئيس المجلس بوصفه رئيساً. في منطوقات أحرى، يستطيع رئيس المجلس هذا أن يعبر عن رأيه كأي عضو آخر في المجلس. يستنتج من هذا:

(أ) أن هناك علاقة بين الحدث اللغوي المؤدى والدور الاجتماعي للمتكلم.

(ب) أن تفسير القوة الإنجازية تفسيراً صحيحاً يعتمد على شكل المنطوق اللغوي وعلى فهم الشبكة الاجتماعية في آن معاً (أن يدرك المستمع في تفسيره إن كان رئيس المجلس يتكلم بوصفه فرداً: وهنا تمثل القوة الإنجازية وجهة نظره في

المناقشة، أو أنه يتكلم بوصفه رئيس المجلس: وهنا تلخص القوة الإنجازية المناقشة التي دارت).

يذكر ستوبس أن طلابه كانوا يفسرون نصيحته بقراءة مقال بعينه، بأنها أمر غير مباشر متأثرين بدوره الاجتماعي وبوضعه السلطوي في هذا الموقف.

٣- على الرغم أن قدراً عظيماً من بنية المحاورة يلاحظ صراحة على سطح الخطاب، فإن هناك حالات لا يمكن فيها أن يفسر تماسك السلسلة الخطابية Co-herence of a Discourse Sequence بالرجوع إلى الربط السطحي Surface Co-hesion. ينبغي ـ إذ ذاك ـ أن نلجأ إلى ما يسميه ستوبس بالأحداث الضمنية Un-derlying Acts؛ أي ألا نعتمد على الربط الملحوظ بين أحداث ملموسة[١].

٤ـ ويأخذ ستوبس على نظرية الحدث اللغوي أنها انطلقت من المتكلم معزولاً as an isolate، وأنها اشتغلت من وجهة النظر هذه تحت تصورات نحو الجملة نفسها كثيراً. هذا في الوقت الذي نرى فيه حدثاً لغوياً قد أنشئ إنشاء متصلاً بين أكثر من متكلم، ويقدم ستوبس أمثلة على أحداث إنجازية قائمة على التعاون المشترك نحو:

أ: هل ستسافر غداً؟ (١)

ب: نعم. (٢)

أ: وعد؟ (٣)

ب: نعم (٤)

عزل نقل قوة الوعد الإنجازية نقلاً صريحاً هنا عن المحتوى. ليس لـ(٣) و(٤) في ذاتهما محتوى قضوي. وهذا هو أساس النظر إلى كل ذلك (أي من ١ حتى ٤) على أنه مبادلة واحدة[٢].

(١) المرجع نفسه ص ص١٥٩-١٦٩.

(٢) المرجع نفسه ص١١٠.

من ناحية أخرى تتجه عناية كل من هاينمن Heinemann وفيفيجر Viehweger إلى ربط مقاصد النص ببنيته الإنجازية من ناحية وبمعرفة الآليات التي تتخذ لعمل تأثيرات كلية وتحقيق التكامل بين الأحداث المفردة من ناحية أخرى. في كل سلسلة من سلاسل الأحداث اللغوية (وفي النصوص الكاملة بالطبع) ينبغي أن يوجد حدث إنجازي واحد على الأقل، يدل على دور السلسلة الكلية المقصدي، وهو ما يسميانه باسم الحدث الإنجازي المهيمن الذي تتبعه وظائف إضافية تدعمه؛ كأن تجعله رجاء صريحاً مثلاً. في الكشف عن الأحداث الإنجازية المهيمنة نستخدم الروابط التداولية التي تكشف لنا بنية التدرج في رتب المركبات الإنجازية الكلية[1]. والروابط التداولية منطوقات جزئية تستنبط من علاقة نوع الحدث اللغوي في منطوقات جزئية مهيمنة بنوعه في منطوقات جزئية إضافية.

يعني هذا في بساطة أن مقصد النص الكلي يتحقق من خلال المقاصد الجزئية من حيث إنها مقدمات للوصول إليه. الوصول إلى الحدث الإنجازي النصي بالوصول إلى كل حدث إنجازي ذي وظيفة خاصة على حده. وغني عن البيان أن منتج النص يختار من إمكانيات تحقيق مقاصده المختلفة ما يناسبه في موقف بعينه. المعرفة بكيفية الإنتاج معرفة بإنتاج الأحداث الإنجازية وتفسيرها من ناحية، ومعرفة بأداء مقاصد الحدث اللغوي المعقدة من ناحية أخرى. ويعني هذا أنها ـ في حقيقتها ـ معرفة بمتطلبات الربط بين الأحداث الإنجازية وبكيفية تحقيق التكامل بين وحدات الحدث اللغوي؛ أي الوحدات الوظيفية المركبة.

يخلص هاينمن وفيفيجر إلى عدد من المبادئ الأولية نوجزها فيما يلي:

١ـ استعمال اللغة يعني أداء أحداث لغوية. والحدث اللغوي نشاط اجتماعي يقوم

(١) Heinemann, Wolfgang - Viehweger, Dieter: Textlinguistik: Eine Einfuehrung-Max Niemeyer Verlag - Tuebingen (1991) S. 58.

به أناس ذوو طبيعة اجتماعية، من أجل إنجاز مهمات اتصالية. ويرتبط هذا النشاط بتبادل التصورات والمقاصد والاهتمامات. ويتجاوز الحدث اللغوي حدود إنجازه، حتى يحدد من خلال عمليات الأداء.

٢ـ يوجه الحدث اللغوي إلى الأطراف المشاركة فيه. ومن ثم عد فعلاً اجتماعياً. إنه يخضع في أدائه لقواعد اجتماعية، ويعبر عن أشكال السلوك الاجتماعي وفقاً لمتطلبات بعينها.

٣ـ يؤدى الحدث اللغوي في هيئة إنتاج النصوص واستقبالها. من ثم، يمكن أن توصف النصوص بأنها متواليات من الأحداث اللغوية أو مركبات من الأحداث اللغوية أو بنى إنجازية (ترتبط ببنية النص القضوية أوثق ارتباط).

٤ـ يستخدم الحدث اللغوي ـ مثل غيره من أنواع الأحداث والأفعال الأخرى ـ لبلوغ المقاصد. ويحدد مقصد النص الكلي من خلال نوع الحدث اللغوي المهيمن (كالرجاء، والوعد. . .الخ) ومن خلال ردود فعل المستمع النفسية المتوقعة (كالاقتناع والغضب. . .الخ).

٥ـ يتبع الحدث اللغوي الذي نعمد إليه والذي يتجه نحو مقصد بعينه، يتبع في أدائه خطة فعلية (من الفعل) Handlungsplan أو استراتيجية فعلية Hand-lungsstrategie بعينها. ويستخدم المتكلم - من أجل ذلك- إمكانية المخايرة بين الوسائل المختلفة. ويخطط المتكلم مقاصده الجزئية وأحداثه اللغوية الجزئية بما يناسب مقصد النص الكلي. وهذا ما يؤدي إلى تدرج رتب أحداث النص الإنجازية. وهو تدرج يتميز باشتماله على مستويات مختلفة من الأحداث اللغوية المهيمنة والأحداث اللغوية المدعمة. ويقوم المستمع عند عملية الفهم بإعادة تركيب هذا التدرج في رتب الأحداث الإنجازية[١].

(١) المرجع السابق ص ص٥٩- ٦٠.

أرادت نظرية النص إذن أن تنقل تحليل الأحداث اللغوية من مجال الجملة المفردة إلى مجال السلسلة الكلامية التي تكون مع غيرها مقصد النص الكلي، أو الحدث الإنجازي الأكبر. وهو نقل تدعمه منظورات منهجية، لا ترى للتحليل صلاحية إلا بالكشف عن المبادئ التي تتحول الأحداث اللغوية الجزئية بمقتضاها إلى أبنية أحداث مركبة من النصوص، والكشف عن كنه العلاقة بين أبنية الأحداث النصية وما يناظرها من أبنية لغوية، من حيث إن الوصول إلى تحديد الأغراض الإنجازية تحديداً واقعياً لا يدرك إلا من معرفة العلاقات بين الأحداث الإنجازية الجزئية من ناحية والعلاقات بينها وبين الحدث الإنجازي الأكبر الذي يؤديه النص كاملاً من ناحية أخرى.

* * *